الإستهلاك المفاهيمي وترسيخ التبعية

مفهوم التحديث : نموذجًا

سيدة محمود محمد[1]

ملخص

ورد مفهوم **التحديث** في كثير من الأدبيات الغربية وماحذا حذوها من الأدبيات العربية دون تحليل نقدي الأمر الذي جعله في دولنا العربية شأنه شأن بلدان العالم الثالث لا يشير إلا إلى معنى محدد وهو أن تتجه عمليات التغيير صوب الغرب . وهذا هو حال كافة المفاهيم الوافدة "جاهزة الإستهلاك" رغم أنها تحمل رؤية كلية للعالم ونموذجًا معرفيًا يقضي بإقصاء أي رؤية كلية أخرى. بما يجعل ترويج هذه المفاهيم " الجاهزة للإستهلاك" بمثابة ترويج لمنظومة المؤشرات التي ترتبط بالمفاهيم في نموذجها الغربي، والتي تعاني من إشكاليات عديدة في بيئتها. وسوف تسعى الدراسة إلى القيام بعملية تفكيك للمفهوم ، وكي يتم ذلك ينبغي أولًا التعرف على منطلقات ما قبل المفهوم ، وهذا مهم لأن هذه المنطلقات تقدم تفسيرًا لرؤية " الأنا" الغربية لذاتها وتمركزها خول هذه الذات، ومن ثم رؤيتها لجدارة أن تكون" نموذجًا كونيًا" ليس أمام الآخرين إلا المحاكاة والتقليد للنموذج إن تغيوا تحديثًا. وسوف تستعرض الدراسة مفهوم الحداثة ، ثم أسس الحداثة الفكرية والآليات التي ارتكزت عليها،ثم الرؤى النقدية للحداثة من الداخل الغربي، ليأت المحور الأخير ما الحال حين يتم إعادة توطين المفهوم في غير بيئته؟

الكلمات المفتاحية: التبعية ؛ المفاهيم؛ الرؤية الكلية؛ الديمقراطية .

[1] مرشحة دكتوراه، علاقات دولية وعلوم سياسية، كلية التجارة وإدارة الأعمال، جامعة حلوان..

Conceptual consumption and establishing dependency
The concept of modernization: a model

Abstract

The concept of modernity has been written in much of Western literature, and Arab literature following suit without any critical analysis which has one meaning in both arab countries as well as third world countries,any change must immatate the west.It has presented a number of concepts ready for consumption even though they carry a comprehensive vision of the world that requires the exclusion of any other comprehensive vision. Which makes the promotion of these "ready-to-consume" concepts tantamount to promoting a system of indicators that are linked to the concept in its Western model, and which suffer from many problems in its environment as the concept of modernity, and in order to dismantle this concept, we must recognize the premise of the concept, and this is of great importance because the concept of modernization that was associated with it in third world countries has come to mean that the processes of change are directed towards the West, which indicates the success of the experiment and therefore its suitability as a "model." Cosmic" and others have to imitate the model if it is updated. The study will review the concept of modernity, then the foundations of intellectual modernity and the mechanisms on which it is based, then the critical visions of modernity from within the West. The final topic comes: What happens when the concept is resettled in a context other than its home?

Keywords: dependency؛concepts؛holistic vision؛ democracy**.**

مقدمة

تطرح الدوائر الفكرية والسياسية الغربية مفهوم الحداثة كتصور أحادي ليس أمام دول العالم الثالث إلا الأخذ به إذا ما تغيت التحديث، بإعتبار أنه المثال الأعلى والنموذج الأتم للعيش المشترك لإدعائه الإمتياز عن غيره بخاصيتين:

الأولى: أنه يدعي أنه النموذج الذي يحقق فعالية تنظيمية وتدبير لسبل العيش غير مسبوق ، وبه تحقق المجتمعات البشرية تنمية وقدرة اقتصادية هائلة.

والثانية: لأنه نموذجًا يدعي أنه الوحيد القادر على تحقيق الحريات السياسية والإجتماعية ، الفردية والجماعية.

ولئن صدقت بعض هذه الدعاوى في حق الواقع الغربي، فإن إدعاء هذا النموذج أنه الوحيد الذي طبق الحريات والتنمية، وأن الأخذ به سوف يحقق التحضر والتمدن بذات الصورة التي حدثت في الغرب يحتاج إعادة نظر سواء ما أفرزته نظرياته ومقولاته في بيئته ، أو السراب الذي حققه في عالم الأطراف/ الهامش/ الجنوب. فهو نموذج للعبث بالمفاهيم؛ فالغزو والسيطرة بل الاحتلال العسكري يسمى " بناء الدولة "، وتحويل العالم إلى مستهلك لمنتجاته يُسمى سبل تحديث.. تجعل ما إدعاه من شعارات، يُخفي وراءها صنوفًا من الهيمنة المعلنة والخفية، كما أن كثيرًا من المفاهيم أُخرجت عن معناها الأصيل إلى المعنى الغربي كمفهوم الدين الذي أسقط الخبرة الأوروبية مع المسيحية عليه بشكل كامل.

فمعايير التقدم والتخلف وحركة المجتمعات ليست من قواعد عامة تصلح للتطبيق على جميع الظروف، بل اتخذت المجتمعات الغربية مقياسًا لها بما يسودها من قيم ومؤسسات وعلاقات تبعية وتسلط واستغلال.[1]

---

[1] إبراهيم. سعد الدين ، "**نحو نظرية سوسيولوجية للتنمية في العالم الثالث**"، في: إبراهيم . سعد الدين وآخرون، صور المستقبل العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،1982،ص53

أولًا: أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى وضع مفهوم " الحداثة" في سياق المراجعات التي تدور حاليا في علم النظرية السياسية المعيارية، بحثا عن إجابات للإشكاليات والأزمات المتعلقة بالناظم القومي للعمران في الواقع المعاصر، وإعادة بناء مفاهيم العدالة التوزيعية .

ثانيًا : أهمية الدراسة

تنبع أهمية الدراسة من عدة إعتبارات علمية وعملية هى:

- **الأهمية العلمية**

تزداد أهمية هذه الدراسة بعد إخفاق مساعي التنظير السياسي المأسور بالقيم الغربية التي لاتزعم أنها لاتعترف إلا بالمحسوسات القابلة للتجريب وتدعي الفصل بين العلم والقيم والدين ، وهذا مستحيل الحدوث.

- **الأهمية العملية**

تحرير مفهوم الحداثة وسائر المفاهيم المتعلقة به مما لحق بها من أسَر يمس حاجة ضرورية لمجتمعاتنا في المرحلة الإنتقالية التي تمر بها منطقتنا العربية والإسلامية .

ثالثًا: إشكالية الدراسة

تتبلور إشكالية الدراسة في نقطة رئيسة وهى أن: الإستهلاك المفاهيمي للمفاهيم الجاهزة يتسبب في فشل كثير من مشروعات التنموية ؛ ذلك أن هذه المفاهيم الوافدة تنطلق من نموذج معرفي مغاير في كثير من جوانبه للبيئة التي يتم فيه إعادة توطين المفهوم دون إدراك معطيات ماقبل المفهوم ، ومآلات الأخذ بالمفهوم والذي يشهد مراجعات في بيئته الأصلية بما يطرح مجموعة من الأسئلة أبرزها:

هل في صالح المجتمعات غير الغربية الأخذ بمفهوم جاهز للإستهلاك كمفهوم الحداثة أم أن عليها إخضاعه للمراجعة والنقد والتفكيك قبل إعادة توطينه؟

رابعًا: الفرضيات

تحاول الدراسة الإجابة عن الإشكالية البحثية من خلال اختبار الفرضيات الآتية:

- تفترض الدراسة عدم المطابقة بين مفهوم التغريب والحداثة فقد كان من الممكن لمجتمعات العالم الثالث سلوك مسلك التحديث دون الأخذ بالنموذج الغربي ولاسيما ان لديها مكنة ثقافية تنطلق منها.
- كما تفترض الدراسة أن مفهوم الحداثة كما طرحته الدوائر الغربية، ودعت الآخرين للأخذ به ليس مفهومًا عالميًا .

خامسًا : إقترابات الدراسة

سوف تنطلق الباحثة باستخدام **إقتراب إعادة بناء المفاهيم** من نقطة مركزية تتمثل في الإيمان المطلق بأن إعادة بناء المفاهيم تمثل مفتاحاً لإعادة تشكيل العقل والوجدان والسلوك الحضاري على المستوى الفردي والجماعي.

سادسًا: منهج الدراسة :

حيث أن الظاهرة السياسية و الإجتماعية بوجه عام ظاهرة معقدة ومركبة ومتعددة الأبعاد، فضلاً عن طبيعة المفهوم محل الدراسة سوف تستخدم الدراسة المنهجين التحليلي البنيوي والوصفي، **فالأول** تبرز أهميته من حيث قدرته على وصف المعطيات والمؤشرات المرتبطة بالحداثة وقد ازدادت أهمية هذا المنهج في مرحلة مابعد الحداثة ولاسيما عند المقارنة. **والثاني** لتحديد مفاصل الإشكالية ورصد شبكة العلاقات البينية بين عناصرها ، وبين بيئتها ، بمختلف فضاءاتها تحت القومية والقومية والإقليمية والعالمية.

وتستعرض الدراسة المفهوم بإشكالياته على محاور خمسة على النحو التالي:

أولًا : منطلقات ماقبل المفهوم:

هى الأسس النظرية التي انبثق عنها المفهوم. إذ تنطلق المفاهيم الذي روج بها الغرب لمنظومته من أسس يمكن أن نقول أنها تمثل معطيات" ماقبل المفهوم" فترويجه للتحديث أو التنمية أو الحوكمة أو..إنما ينطلق من التطورية الداروينية التي ترى أن هناك خطًا واحدًا للتطور البشري، لابد أن تسير فيه جميع المجتمعات البشرية ، متبعة قواعد موحدة لا تتغير باختلاف المكان– أي التخلي عن فكرة (التنوع الحضاري) – وعلى الشعوب البدائية المتخلفة أن تلحق بركب الشعوب المتقدمة.[1] كما ينطلق من البحوث الإنثربولوجية التي تتهم ماهو غير أوروبي ليس فقط بالتخلف بل بالجمود والركود. فبحسبها أن المجتمعات غير الأوروبية هي ذاتها التي تحدث عنها المستشرقون في القرن الثامن عشر هي ذاتها في القرن العشرين بذات نظمها وتكنولوجياتها البسيطة.[2] بل أرجع بعضهم هذا الجمود إلى ما أطلقوا عليه " نظرية الإنتكاس الحضاري" التي تذهب إلى العقاب الآلهي للشعوب غير الأوروبية لشرورهم فتدهورت أحوالهم إلى مستوى حضاري أدني من حالتهم المثلى التي خلقهم الله عليها بسبب شرهم في حين اصطفى الشعوب المسيحية بأرقى أنواع الحياة وأكثرها تقدمًا.[3]

---

[1] مونتاغيو. إشلي ، "**البدائية**" ، ترجمة محمد عصفور، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، عدد(53) مايو 1982، ص155.

[2] مير. لوسي ، "**مقدمة إلى الأنثربولوجيا الاجتماعية**"، ترجمة شاكر مصطفى سليم، بغداد: منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة الكتب المترجمة، عدد(126)، 1983،ص291.

[3] فهيم. حسين ، "**قصة الأنثروبولوجيا**"، فصول في تاريخ علم الإنسان، الكويت: عالم المعرفة، عدد(98)، فبراير 1986،ص52.

وفي ذلك تجاهل تام للبعد التاريخى، فأدب التحديث عموما يبدأ من إقرار واقع التخلف فى بلدان العالم الثالث كحقيقة قائمة، ثم ينصرف إلى عرض مظاهر وسمات هذا التخلف من النواحى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية دون أن يتعرض إلى أسبابه وتطوره من الناحية التاريخية، وتراكم ثروات الغرب ليس لكدح الطبقة العمالية، وإنما هو لسلب الشعوب المستعمرة ثرواتها.[1] فهناك تجاهل مقصود للنظر فى أسباب تخلف البلاد المتخلفة ويبدو مبعث هذا الاتجاه عندما ندرك أن البلاد التى تدعى اليوم بالتخلف تشمل مناطق عديدة لم تكن متأخرة أو متخلفة باستمرار، وأنها عرفت حضارات زاهية وكانت مصدر إشعاع للعالم فى مراحل تاريخية خلت. كما أنه إذا كان مفهوم علم السياسة هو علم التوزيع السلطوى للموارد النادرة فى المجتمع، وأنه العلم الذى يدرس من يحصل على ماذا، لماذا، وعلى حساب من فإن أدبيات التحديث فى الخمسينات والستينات فى مجال التنمية الاجتماعية والسياسية تجاهلت البعد الإقتصادى التوزيعى، ومن ثم فإن عدم التركيز على دور العامل الإقتصادى وبالذات ذلك المتعلق بالقضية التوزيعية وبالعدل الإجتماعى وإهمال الجانب التوزيعى للقرارات السياسية، فإن هذا يعكس انحيازا أيديولوجيا [2]

ثانيًا: مفهوم الحداثة

لمفردة "حديث" دلالات قيمية لدى الباحث العربي. فليس كل حديث جيد، وليس كل

---

[1] لمزيد من التفاصيل، انظر:

عارف. نصر محمد ، "**نظريات التنمية السياسية المعاصرة: دراسة نقدية مقارنة في ضوء المنظور الإسلامي**"،سلسلة الرسائل الجامعية(6) فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1413هـ- 1992، ص182:113.

[2] على الدين هلال ، "**الاقتصاد السياسي وقضايا التنمية لبعض الاتجاهات الحديثة فى العلوم الاجتماعية**"، https://arabprf.com/?p=2833

تقليدي سئ. فهى تعنى من جهة دلالات إيجابية بمعنى الجديد المطابقة للزمن الحاضر، كما تحمل دلالات سلبية فالشخص حديث في مجال ما تعني قلة خبرته، و المحدثات في الدين بدع، وحوادث الدهر نوائبه.[1]

وقد استخدم الغرب المفردة ثلاث استعمالات :

– الحداثة بوصفها **مجموعة الأفكار** المرتبطة بهذه الحقبة الزمنية.[2] كالعقلانية ، والعلمانية والدولة، والقومية، والمواطنة، والديمقراطية.

–الحداثة بوصفها **منتجات هذه الأفكار** على المستوى المؤسساتي والسياسي والإجتماعي والإقتصادي.[3] والقاسم المشترك في هذه الإستعمالات هو التطور والتقدم للمستقبل والقطيعة مع الماضي.[4]

هكذا ترادف التقدم مع ضرورة الإنفصال الجذري عن الماضي، ورفض شديد لنموذجه وسلطته على الحاضر.[5] فضلًا عن المعنى الكامن في مفهوم " التقدم" ذاته الذي وعد الغرب الآخرين به محولًا إياه من دلالته المكانية – التقدم يعني الحركة للأمام– إلى زمانية، ليتحول بعد ذلك تحت ضغط اقتصاديات السوق إلى مفهوم كوني يعد فيه الغرب الآخرين بإشباع لانهائي وفي الجانب المادي فحسب، أما

---

[1] جديدي. محمد ، "**الحداثة ومابعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي** "، جامعة الجزائر: رسالة دكتوراه ، 2006، ص85.

[2] فينليسون. جيميس جوردن ، "**هابرماس مقدمة قصيرة جدا**"، ترجمة أحمد محمد الروبي، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 2015،ص75.

[3] المرجع السابق، ص76.

[4] جون بودريار ، الحداثة ، ضمن:سبيلا. محمد وعبد العالي.عبد السلام بن ، "**الفلسفة الحديثة نصوص مختارة**"، المغرب: أفريقيا الشرق، 2001، ص325.

[5] عبد النور. ابن داود ، "**المدخل الفلسفي للحداثة..تحليلية نظام تمظهر العقل الغربي**"، الجزائر– بيروت: منشورات الإختلاف– ناشرون، 2009، ص25.

التقدم الروحي فغير وارد لأنه لا يمكن قياسه بما ينفي عنه صفة العلم.[1]

ويتضح هذا المعنى بجلاء فيما قدمته شارلين سبرتناك في وصفها لخصائص هذه الحداثة بتمركزها كحالة حضارية **حول نزعات خمس:**

أن الأولوية تكون للرفاهية الاقتصادية التي ستقود إلى تحقيق الرفاهية في مجالات الحياة الأخرى، والنزعة التقدمية. أي أن التقنية ستجد حلولا لكل المشاكل وأن الحالة الإنسانية سوف تتحسن بالتدريج من خلال الوفرة. والنزعة التصنيعية. أي أن الإنتاج على نطاق واسع سيؤدي إلى تحقق الوفرة والتي بدورها ستؤدي إلى خلق نزعة استهلاكية. والنزعة الاستهلاكية.أي أن استهلاك السلع المادية هو مصدر السعادة البشرية. والنزعة الفردية التي تشير إلى التنافس على المنفعة الفردية وإعطاء المصالح الفردية لها أولوية على المصالح العامة.[2]

1- أسس الحداثة الفكرية

تتركز -على كثرتها- في ثلاث: الفردية ، والعقلانية، والحرية.

الذاتية: " الأنا" أو الذات الفردية هي أساس الحقيقة واليقين والقيمة المطلقة . تخلق قوانينها، ولا تتلقاها من الخارج، وهى حين تحترم هذه القوانين لا تحترم في الأخير إلا ذاتها وهو ما عبر عنه كانط بالإستقلالية.[3] وبعد أن كان نكرة ، منغمرة في

[1] القفاش. أسامة ، "**قراءة مفاهيمية في قاموس التنمية**"، ضمن: د. إبراهيم البيومي غانم (وآخرون)، بناء المفاهيم:دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع،2008، ج2ص471: 473.

[2] Spretnak, C. The Resurgence of the Real. Ontario: Addison-Wesley: Don Mills,1997,40-41.

[3] ليوتار. جان فرانسوا ، "**في معنى مابعد الحداثة ..نصوص في الفلسفة والفن**"، ترجمة وتعليق السعيد لبيب، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2016، ص10.

الجموع، منغمسة ذائبة فيها"[1] خاضعًا خضوعًا تامًا للجماعة سواء كنيسته أو قبيلته، أضحى مرجع نفسه لا آلهة ، ولا شرائع، لا مؤسسات دين ، ولا رجال دين يملوا عليه ما يجب وما لايجب ، بعقله يسن شرائعه، وبعلمه عرف نفسه بعد انكفاء عالم الآلهة على ذاته وأفول حضورها في العالم.[2] **العقلانية** : هي الوجه الآخر لعملة الحداثة ،بل يمكن حصر الحداثة فيها. فبالعقل أصبح كل شيء مفهومًا ،بل محكومًا ، وعبره حقق الإنسان سيادته النظرية على العالم الذي غدا خاليًا من الأسرار، فبعقله كشف قوانين الطبيعة وأخضعها لسلطان العلم الحديث، وبه سن القوانين ووشع أسس وبنى المؤسسات الاجتماعية الحديثة. **الحرية** : تمثل الغاية في فكر الحداثة؛ فالإنسان الحديث هدم كل ما من شأنه أن يقف عقبة أمام إنفاذ إرادته. وتجذرت الحرية الفردية في مجال الحياة الخاصة عبر الإستقلال الأخلاقي ، وفي المجتمع عبر المنطقة التي يضمنها القانون الخاص الذي يسمح بالسعي إلى تحقيق مصالح ذاتية، وفي الدولة عبر المشاركة المتساوية في تكوين الإرادة السياسية .[3]

3- أبرز آليات التحديث

توسلت الحداثة **ببعض الآليات** طلبًا لرشادة تدبير شئون المجتمع، أبرزها :الترشيد الأداتي، التفصيل البنيوي، التوسع.

الآلية الأولى : الترشيد

[1] الشيخ .محمد ، "**نقد الحداثة في فكر هايدغر**"، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2008،ص26.

[2] الشيخ.محمد و الطائي.ياسر ، "**مقاربات في الحداثة ومابعد الحداثة ..حوارات منتقاة من الفكر الألماني المعاصر**"، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1996، ص13.

[3] الشرفي. عبد المجيد ، "**لبنات..معالم الحداثة**"، تونس: دار الجنوب للنشر، 1994، ص24،25.

يعني الترشيد: إخضاع المجتمع سواء في تنظيمه أو تدبير شؤونه إلى مبادئ العقل واعتبروا الدولة الحديثة (وليدة وستفاليا) هي **العقلانية التامة الشاملة؛**[1] ذلك أنها نقلت المجتمعات من قبلية أسطورية او دينية، يُعد الغيب سبب مشروعيتها على مجتمعات تعاقدية فاستحالت بذلك إلى دولة مؤسسات وقانون، لا دولة أفراد وعائلات. تحكمها سلطة سياسية علمانية واحدة، وهذا التغيير يعني ضمنًا أن الحكم من نتاج الإنسان، لا من نتاج الطبيعة، ولاهبة من الله. بما يجعل المرجعية بالكامل بشرية. [2] فالجميع يخضع لقانون عقلاني، يُطبق على جميع المواطنين دون تمييز، وإدارة قائمة على قوانين يقوم عليها موظفون متخصصون على أسس الكفاءة المعرفية لا على أسس شخصية ، يتقاضون راتبًا حسب مسطرة تعيين معلومة وهذه هي البيروقراطية.[3] **والديمقراطية** كآلية اختيار هي التعبير الأكثر رشادة لممارسة الإرادة العامة .

الآلية الثانية: التفصيل/ التمييز

ويعني التفصيل نقل الشئ من صفة التجانس إلى صفة التغاير، بحيث تتحول عناصره المتشابهة إلى عناصر متباينة، تتمايز هذه العناصر عن بعضها البعض ، بضبط آليات كل عنصر منها.[4] أي تقسيم العمل إلى أدوار ومهام بين الأفراد والجماعات ، ويختص كل فاعل اجتماعي بدوره لخدمة النسق العام. وكلما زاد

---

[1] العروي .عبد الله ، "**مفهوم الدولة**"، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط9، 2011، ص103.

[2] هنتجتون. صموئيل ، ا"**لنظام السياسي لمجتمعات متغيرة**"، ترجمة سمية فلو عبود، بيروت: دار الساقي، 1993، ص47:50.

[3] المرجع السابق، ص 90.

[4]عبد الرحمن. طه ، "**روح الحداثة..المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية**" ، الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي، 2006، ص27.

التقسيم والتشظية كلما حقق الحداثة. فالوزارات إلى إدارات والإدارات إلى إدارات فرعية والإدارات الفرعية إلى لجان متخصصة ..، وعلى المستوى العام، الفصل بين المجال العام والمجال الخاص، وعلى مستوى السلطة الفصل بين السلطات الثلاث.

الآلية الثالث: التوسع

أي صبغ الترشيد/ التعقيل **كل قطاعات** المجتمع ومؤسساته، فما من مجال اجتماعي أو مؤسسة إلا ويتم إخضاعه للعقل في تنظيمه وتسييره. [1] فضلًا عن التوسع في استغلال موارد الأرض والذي لن يكون إلا بالإستعمار فقد نظر إلى الأرض على أنها مجرد مصدر وافر وغير ناضب للسلع، وسوق لتصريف المنتجات فركزت الحداثة على تحويل الموارد الطبيعية (بوساطة التقنية) إلى سلع استهلاكية تتحول بشكل سريع جدا إلى نفايات. فالاقتصاد المزدهر وفقًا لرؤيته "اقتصاد متوسع" ينتج سلع مادية كثيرة لتستهلك ومن ثم يتخلص منها. وضمن هذا النسق الإعتقادي تصبح النقود ومالكيها هي السلعة الأسمى، وتطغى معايير الحياة المترفة المسرفة المدفوعة بالنزعة الاستهلاكية الواسعة على كل الاعتبارات الأخرى، ويصبح السوق هو المحدد الأساسي لما يحدث في المجتمع، ويتعزز الاعتقاد بأن الوفرة (من خلال الإنتاج والاستهلاك الواسعين) هي الحل. وهو ما عبر عنه برتراند راسل معترضًا "أننا نستهلك الآن في سنة واحدة أكثر مما أستهلكه الإنسان في كل الفترة الممتدة منذ ميلاد المسيح وحتى فجر الثورة الصناعية"[2]

ثالثًا: مفهوم التحديث كما تم عولمته

إن مفهوم التحديث الذي تم تعميمه: هو الأخذ بمسلك الحداثة كمشروع للتحرر

[1] مسعودي. نور الدين ، "**التحديث الاجتماعي السياسي الغربي ومسار الهيمنة الحضارية**" ، جامعة محمد الأمين دباغين– سطيف 2: رسالة ماجستير، 2016/2015، ص45:55.

[2] Russell, P." **Waking up in Time: Finding Inner Peace in Times of Accelerating Change**". Novato, CA: Origin Press, 1998,43.

الاجتماعي السياسي. أي" عملية التغيير صوب تلك الأنماط من النظم الاجتماعية والسياسية ، والإقتصادية ، والتي تطورت في أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية ، منذ القرن السابع عشر وصولًا إلى القرن العشرين:[1] وهذا يشير **إلى أمرين** :نجاح التجربة ومن ثم جدارتها ك" نموذج كوني" ليس أمام الآخرين إلا المحاكاة والتقليد للنموذج إن تغيوا تحديثًا. انفراد الغرب بهذا النموذج لسمات تفرد بها الغرب وحده.

فوفقًا لماكس فيبر لم تبرز أي ظاهرة ثقافية مدلولًا وقيم كونية إلا في الحضارة الغربية دون سواها.[2] حيث ارتبط التحديث بالرأسمالية والتي لم تكن سوى تجليات الإصلاح البروتستانتي الكالفيني.[3] هذا الإصلاح الذي نزع" السحر" عن العالم [4] ، ومن ثم علمنة تامة للحياة السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية . فضلًا عما أثمره على مستوى السلوك من خلق طائفة بوروجوازية تقدس العمل القاصد للكسب، وهى اللبنة التي قامت عليها الرأسمالية . فقيم الحداثة من عقلانية وحرية وتنظيم ...لاتجد لها جذورًا إلا في الثقافة اليهودية – المسيحية فيضحى المجتمع الغربي نموذج (المجتمع المختار).

ويصف آلان تورين معالم هذا النموذج الذي على رأس القافلة بأنه مجتمع دهري ، عقلاني ، لايستدعي أي مبدأ فوقه، لم يحافظ على المجتمعات القديمة بسبب

---

[1] هيجوت. ريتشارد ، "**نظرية التنمية السياسية**"، ترجمة حمدي عبد الرحمن ومحمد عبد الحميد، عمان: المركز العلمي للدراسات السياسية، 2001، ص44.

[2] فيبر. ماكس ، "**الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية**"، ترجمة محمد على مقلد، بيروت: مركز الإنماء القومي، د.ت، ص5.

[3] "**ماكس فيبر**"، ترجمة محمد مقلد، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2008، ص281–280.

[4] أي تفسير العالم بشكل عقلاني، انظر:

طه عبد الرحمن ، "**تعددية القيم ما مداها؟ وما حدودها؟**" مراكش: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2001،ص17.

المعاناة والهيمنة على الجسد والروح من قبل الثلاثي (رجال الدين، الإقطاع ، الملوك) ..إن النموذج الغربي ارتكز على اختيار متطرف، في حين أن النماذج الأخرى كلها تجمع بين الماضي والحاضر، وهذه المجتمعات إذا ما اختارت النموذج الغربي (المشرعن ذاته)عليها بلوغ قطيعة ضرورية مع ماضيها. [1] وحين تم توطينه في الأطراف ارتبط بالإستعمار وما أوجده من نخب متغربة، ليعود بعد انهيار الإتحاد السوفيتي فيستأنف زحفه على يد الولايات المتحدة الأمريكية.[2]

وحيث أن مشروع الحداثة في بيئته تبدى في اتجاهين السلب والإيجاب ، فإنه أراد من الأطراف العمل بهذين المسارين حذو القذة بالقذة : مسار السلب وهو هدم الماضي والإنقلاب عليه. ومسار إيجابي وهو تأسيس البديل لما تم الإطاحة به والقائم على العقل كمرجعية ووسيلة ، والحرية المطلقة كغاية وسيادة الشعب كمبدأ للدولة الحديثة. **السؤال الذي يفرض نفسه** هل حرر التحديث الإنسان الغربي نفسه من الهيمنة كي يكون نبراسًا للآخرين في إعادة توطين التحديث بسائر مفاهيمه؟ هذا ماسوف يتضح في المحور التالي.

رابعًا: نقد الحداثة من الداخل:

إن المشروع الذي وضع التحرر الفردي والجماعي مقصدًا لأفراده أفضى إلى هيمنة على أفراده أنفسهم، فضلًا عن هيمنة هذا المركز على الأطراف في تغييب تام للأسس التي قام عليه المشروع الحداثي نفسه.

1) الحرية:

[1] تورين. آلان ، "**براديغما جديدة ..لفهم عالم اليوم**"، ترجمة جورج سليمان، بيروت: المنظمة العربية للترجمة ، 2011،ص96،97.

[2] المرجع السابق، ص92:95.

إن الحرية بمعناها العام " غياب الإكراه"[1]. وفي معناها الاجتماعي والسياسي تعني غياب أي إكراه إجتماعي يُفرض على الفرد. أي يكون أفراد المجتمع والدولة أحرارًا في القيام بما تمليه عليهم إرادتهم الحرة، غير خاضعين لأي قانون إلا الذي يضعونه لأنفسهم. فصار معنى الحرية أن يختار الإنسان شرعته، وتضع الذات لنفسها ما هو شرعي وضروري وإلزامي وحسب. أي يصير الإنسان سيد ذاته.[2]

ويتضح في هذا المعنى للحرية شيء من التطرف. ويقدم العروي تعريفًا متوازنًا للحرية بوصفها **قدرة** الفرد على الإختيار بين **الممكنات، دون إكراه.**[3] فالقدرة تشير إلى استطاعة الفرد بما تحويها من بعد مادي ، وبعد قانوني بالسماح له بذلك دون وقوعه تحت طائلة عقاب ما، الممكنات دون إكراه تشير إلى البدائل المتاحة ما تحددها الشرائع والأعراف التي تشكل الأفق الاجتماعي للفرد. ويمكن القياس عليها بأن الحرية الاجتماعية هي قدرة الجماعة على الإختيار بين الممكنات دون إكراه أي أن وجود إكراه أو هيمنة سلب لهذه الحرية. وعليه فإن الهيمنة تكون" الحالة التي يكون فيها الفرد، أو المجتمع غير قادر على الإختيار بين الممكنات ، لتوهمه ، أو إيهامه بغياب إمكان آخر عدا الإمكان المطروح، أو توهمه ، أو إيهامه بعدم قدرته على الإختيار." [4] وتزيد حدة الهيمنة بتجاوز الإيهام إلى القسر على الأخذ بخيار محدد.

---

[1] لالاند .أندريه ، "**موسوعة لالاند الفلسفية**،" ترجمة خليل أحمد خليل، بيروت: منشورات عويدات، ط2، 2001، ص727.

[2] الشيخ . محمد ، "**نقد الحداثة في فكر هايدغر**"، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2008، ص506.

[3] العروي. عبد الله ، "**مفهوم الحرية** "، الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي، ط5، 1993، ص91.

[4] مسعودي. نور الدين ، مرجع سبق ذكره، 2016،ص100.

وبالأخذ بالتعريف الدهري الحداثي للحرية واختباره تتضح الفجوة بين النظرية والتطبيق، فقسر الآخر أو إيهامه بعدم وجود بدائل له حرية الإختيار فيما بينها يناقض جوهر مفهوم الحرية حتى بمعناها الغربي.

فسعي الحداثي للتحرر كان:

تحرر **الفرد** من هيمنة الجماعة بالقضاء على الدين. وتحرر **المجتمع** من هيمنة الطائفة (النبلاء، الإكليروس، الملك) ببناء الدولة الحديثة. وتحرر **الإنساني** من هيمنة الطبيعة بالتوسل بالعلم والتقنية. وحين نزول النظرية إلى واقع التطبيق، أنتج الواقع الاجتماعي السياسي الغربي هيمنة أشد من صنوف الهيمنة التي انقلب عليها سواء **بالهيمنة الصريحة** ومصادرة الحرية في نماذج الدولة النازية – هتلر انتخب بآليات الديمقراطية – والفاشية و الستالينية والذين وصلوا لذروة التقنية والترشيد والبيروقراطية وحربين عالميتين أودت بحياة الملايين ، أو**هيمنة ناعمة** عبر عنها هربرت ماركيوز " ثمة غياب للحرية ناعم سلس ديمقراطي يسود الحضارة الصناعية المتقدمة."[1] فقد تفككت الرابطة الاجتماعية وحدث الإنتقال من التضامن والتعاون الاجتماعي إلى **ذرات فردية** ملقاة في حركة عبثية.[2]

وعلى مستوى **الدولة:** كانت الغاية من تأسيس الدولة الحديث تحرير الشأن العام من هيمنة الطائفة ، وإحالته إلى الإرادة العامة . لكن واقع الاجتماع السياسي الحديث أسفر عن شكلية الإرادة العامة، ولم يتم القضاء على الطائفة بل تم استبدالها بهيمنة طوائف أخرى حديثة واستبدل النبلاء بكبار الرأسماليين، واستبدل الملوك بحكام عسكريين على شاكلة نابليون وهتلر وموسوليني، والعلاقات الدولية بين الأسر

[1] هاو. آلن ، **النظرية النقدية ..مدرسة فرانكفورت**، ترجمة ثائر ديب، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2010، ص18.

[2] ليوتار. جان فرانسوا ،مرجع سبق ذكره، ص20.

الملكية ب (رؤساء مقاولين) بحسب تعبير ليوتار. [1] كما تحولت الدولة إلى نظام شامل للقوة والسيطرة والقمع الواعي وغير الواعي الذي ينطلق من أجهزتها البيروقراطية والإستهلاكية والإعلامية [2] واختزلت الفرد في بعده الإستهلاكي.

وعلى مستوى الداخل امتدت الدولة بمؤسساتها البيروقراطية لتغطي كامل الجسد الاجتماعي وتسيطر عليه باحتكارها الرشد والقوة والتشريع وتحديد الصالح وغير الصالح فتوارت الذاتيات الفاعلة الفردية والجماعية خلف ركام المؤسسات المتخصصة، حيث لا يُسمح لها بتجاوز المساحة خارج الدور المرسوم الذي تحدده اللوائح التي وضعتها الدولة، الزاعمة الفصل بين السلطات رغم أن معظم السلطات تحت سيطرتها بدعوى (الأمن القومي) الذي تحدد هي وحدها مفهومه.[3]

والتكنولوجيا التي ما أوجدها الإنسان إلا ليتحرر من الطبيعة سرعان ماخرجت عن سيطرته وأضحى لايملك السيطرة عليها بل استعبدته هي، حين استقلت بنسق خاص بها في التطور. وبدلًا من استخدامها لتيسيير الشأن الحياتي حولت الإنسان إلى موضوع " للحساب" و" التخطيط" و" البرمجة" وأضحى كل ما في المجتمع يُقدر ويُقيم بالمعيار العددي الحسابي، وأصبح الشأن الإنساني شأنه شأن الجماد خاضع مع الرأسمالية لتحويله إلى ما يقبل التبادل. فقيمة أي موضوع إبداعي تتحدد في مدى قابليته للتبادل فعلى سبيل المثال لوحة الفنان التشكيلي لن تكتسب قيمتها إلا داخل مكان رسمي (معرض) حيث يمكن مبادلتها بسعر، خارجه يصعب منح

---

[1] المرجع السابق، ص19

[2] بومنير. كمال ، **النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت..من هوركهايمرإلى أكسل هونيث**، الجزائر – بيروت:الدار العربية للعلوم ناشرون ، 2010، ص31

[3] عزت. هبة رؤوف ، "**الخيال السياسي للإسلاميين..ماقبل الدولة ومابعدها**"، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط2، 2015،ص124،123.

اللوحة قيمة فنية وإبداعية.[1] ويؤكد أوتو أولريخ أن العلم استغل في ثلاثة أغراض: زيادة إنتاج البضائع، وجعل الحروب اكثر تدميرًا، واستبدال المتع التافهة بالقيم. فديناميت الإنتاج غير المحدود أدخل الإنسان الغربي في حلقة مفرغة لانهائية من المستهلكين الجائعين (الإنسان البائس المتكالب على الملذات لايقيم وزنًا للآخر حتى لو كان نسله القادم). فكل الإنجازات التقنية الضخمة لم تكن ممكنة بدون استنزاف موارد الطبيعة ، وبدون إنتاج النفايات والسموم والتلوث..إن رسالة الرفاهية الموعودة – سواء للشعوب الغربية وأجيالها القادمة أو الآخر الذي يغره بريق وجاذبية التقنية الغربية– كاذبة لخاصتين في التقنية الغربية: النهب ، والقدرة على نقل التكلفة للآخر.[2]

والطبيعة التي أراد التوسل بالعلم لتفسيرها عاث فيها فسادًا وتدميرا. حيث التدهور البيئي الخطير الذي تجلي في فقدان التنوع البيئي، وتقلص مساحات الغابات المدارية، وتلوث الماء والهواء، وارتفاع درجة حرارة الأرض(الدفء الكوني)، والفيضانات المدمرة الناتجة عن ارتفاع منسوب مياه البحار والأنهار، واستنفاد الموارد غير المتجددة والتصحر، والأمطار الحمضية، وتزايد معدلات انقراض الكائنات الحية بشكل مخيف، والأمطار الحمضية، واستنفاد طبقة الأوزون، ومختلف جوانب الكيمياء التخليقية، والزراعة المصنعة والكيميائية.

ويرجع هذا إلى منظومة القيم والبناء السياسي الاقتصادي المهيمن وهو(الليبرالية الرأسمالية) فهو "اقتصاد استخلاصي" يتسبب في تغيير كيمائية الأرض، وتشويه النظم البيئية عليها متسببا في حدوث أضرار لكل من الأرض والماء والهواء. [3]

---

[1] ليوتار. جان فرانسوا ،مرجع سبق ذكره، ص24.

[2] القفاش. أسامة ، مرجع سبق ذكره، ص476:474.

[3] Coates, J. Exploring the Roots of the Environmental Crisis: Opportunity for Social Transformation. Critical Social Work, 3(1), 2003b, 44–66..

استفاق الغربيون من منظومة التحديث التي حلموا بأن الإعتماد على العقل والعلم سيجلب لهم تنظيم اجتماعي يجعلهم مستقلين أحرار، فإذا بهم مجرد مسامير أو تروس في آلة البيروقراطية يجرى التحكم فيهم بمطالبها الخالصة، ومجرد مستهلكين في السوق لاهدف لهم إلا تملك المزيد واستهلاك أكثر، وأفكارهم ورغباتهم أضحت مُسخرة من طرف السلطات الحكومية والرأسماليين ووسائل الإعلام. [1]

فالفرد تحول مع تحول الليبرالية ذاتها إلى مجتمع الإستهلاك ماعاد مشاركًا في مجتمعه بالعمل الاجتماعي أو السياسي، بل باستهلاكه لسلع وبضائع ينتجها المجتمع ، فالمشاركة أضحت نوع من الإستهلاك، والإنتماء صار انتماء لشريحة استهلاكية معينة تكون علامة على المكانة والمستوى الاجتماعي. كائنًا مروضًا ومكيفًا ، بل فرد من قطيع مُساقًا من السادة.[2]

هذا النموذج انقلب عليه سدنته أنفسهم وأعلنوا موت الحداثة. وأنتجت الخطابات الإطلاقية وإدعاء امتلاك الحقيقة في مرحلة الحداثة لحظة جديدة في تاريخ الفكر الغربي سميت بما بعد الحداثة، والتحول من اليقين المطلق إلى الشك المطلق وكما يعبر عنه ليوتار بالصيغة " إذا كان ما أقوله حقيقي لأنني أبرهن عليه ، فما الذي يبرهن على أن برهاني حقيقي؟" [3]

خامسًا: إعادة توطين نموذج الحداثة الغربي (التحديث)

إذا كان النموذج الغربي قد أفرز إشكاليات لم يستطع الإجابة عنها في بيئته، فمال الحال حين يتم إعادة توطينه في الأطراف؟

---

[1] فروم. إريك ، "**ثورة الأمل..نحو تكنولوجيا مؤنسنة**"، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، مصر: دار الكلمة للنشر والتوزيع، 2010، ص70.

[2] سبيلا .محمد ، "**الحداثة وما بعد الحداثة**"،الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ط2، 2007، ص57.

[3] ليوتار. جان فرانسوا ، مرجع سبق ذكره، ص16.

أولًا: كثير من هذه الأطراف ليست أرض خالية، بل شهدت حضارات تشير إلى أسس الحداثة وركائزها فبناء الأهرامات وسور الصين والمساجد والقلاع وغيرها يشهد بالعقلانية والتخطيطات العقلية ودقة الحساب والهندسة والفلك، والتنظيم والإدارة.، وكان للبعد القيمي دور كبير في هذه الإنجازات، **فالمطالبة بتهميش هذا البعد القيمي** لن يحقق لها الإنطلاق بل سيولد التبعية ويرسخها وهذا ما تحقق على أرض الواقع.

ثانيًا: حين يتم تنميط مجتمعات العالم الثالث على هذا النموذج، فإنه يطمس نماذج صحية كانت لدى هذه المجتمعات . فالنموذج التحديثي البيروقراطي نموذج كمي لايهتم بخصوصيات الأفراد وسماتهم ، بعكس المؤسسات الوسيطة **الربانية** في كثير من المجتمعات " التقليدية" كالأسرة والقبيلة ...أو **الإنسانية** كالطوائف الحرفية[1]

[1] لطوائف الحرفية عبارة عن تكتل يضم أهل كل حرفة أو صناعة معينة في هيئة واحدة ، لها تنظيمهرمي ثابت ودستورينظم ممارستها ويضبط تعاملات أفرادها بميثاق أخلاقي ثابت لايتبدل يحمي أفرادها من البطالة كما يحمي المشترين من الغش أو التلاعب بالأسعار. وتميز الطائفة الحرفية عن النقابة العمالية الحديثة، البعد الأخلاقي إلى جانب المهنية واشتراطه في سائر الهرم، وهي صفة لا نجدها في النقابات الحديثة، وثانيها أن الانتماء العضوي إلى الطائفة كان ينشئ روابط روحية بين كافة أفرادها، هذه الروابط كانت تماثل الروابط العائلية القائمة وأفراد الطائفة كالأخوة يتعاونون فيما بينهم ولا يتنافسون، وهذا خلافا للنقابات الحديثة التي لا تكترث بإنشاء مثل هذه الروابط المعنوية، وثالثها حضور الأثر الديني في كثير من ممارسات الطائفة وفي حفلاتها وفي دستورها غير المدون الذي يستند إلى المبادئ الإسلامية التي تحرم الربا وترفض الغش والتدليس وتدعو إلى إحلال روح التعاون بدلا من المنافسة والتناحر بين الأفراد.

حافظ. فاطمة ، "**الطوائف الحرفية ..تاريخ الإتقان في الحضارة الإسلامية**":
https://islamonline.net/%D8%A7%D9%84%D8%B7%D9%88%D8%A7%D8%A6%D9%81-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D9%81%D9%8A%D8%A9-%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE-

التي كانت تجمع بين ماهو أخلاقي وماهو مهني، مع توفر البعد المعنوي الذي يكون به الإنسان. أما المؤسسات البيروقراطية أعادت صياغة الإنسان حسب مواصفات كمية يتحول معها الإنسان إلى حيوان اقتصادي، والمجتمع إلى آلة ضخمة تقرر لكل فرد وظيفته ومكانه بل تحدد رغباته (عبر الإعلام) ولا تغطي الحياة العامة وحسب وإنما تمتد لتشمل الحياة الخاصة أيضًا.[1] وهذا هو جوهر الترشيد الأداتي للمجتمع. فكما توسل بالعلم للسيطرة على الطبيعة فكذلك يمكن التحكم في سلوك الأفراد واختياراتهم بواسطة العلم أيضًا.

ثالثًا : حينما يروج الغرب لنموذج التحديث لا يروج آلياته وإنما يروج **تطبيقه هو لهذه الآليات.** فشتان مابين الخبرة الدينية والسياسية للمجتمعات غير الأوروبية، والخبرة الغربية التي احتاج المجتمع الأوروبي بسببها إعادة صياغة العلاقة بين الدين والدولة بعد حروب دينية طاحنة امتدت لما يقرب من 130 سنة بسبب التصورات الكنسية وفساد رجالها فهل التحريف الذي طال المعتقد وفساد رجاله[2] فهل ينبغي تعميم هذه الخبرة على سائر المعتقدات والمطالبة بقطيعة جذرية معها كشرط للتحديث؟

كما أن **الترشيد** والعقلانية صنو الحداثة، ليس بالضرورة أن يكون أداتي كما طبقها النموذج الغربي، ففي داخل تنظير هذا النموذج ثمة فارق بين الفعل الرشيد الأداتي

%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%AA%D9%82%D8%A7%D9%86-
/%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B6

[1] المسيري.عبد الوهاب ، "**العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة:**، ج1، القاهرة: دار الشروق، 2002، ص132. عزة، الطيب بو ، "**نقد الليبرالية**" ، بيروت: دار المعارف الحكمية، 2007،ص119.

[2] لمزيد من التفاصيل حول فساد الإكليروس الأعلى وصكوك الغفران ، انظر:

سكنر. كوينتن ، "**أسس الفكر السياسي الحديث ..عصر الإصلاح الديني**"، ترجمة حيدر حاج إسماعيل، ج2، بيروت: المنظمة العربية للترجمة ، 2012، ص11 ومابعدها.

، والفعل الرشيد القيمي وكلاهما عقلاني ولكن اختار الغرب الأخذ بالنوع الأول من الفعل.

يميز ماكس فيبر بين الفعل الرشيد الأداتي : حيث يوجه الفاعل فعله تحقيقًا لغرض معين، بالإستعانة بوسيلة محددة، أملًا في بلوغ نتائج بعينها . أي أن معيار تقييم الفعل تحقيقه **لغايته** بغض النظر عن قيمة الفعل. والفعل الرشيد القيمي: يكون **لقيمة الفعل، وقيمة الغاية منه** ، الدور الأساس في توجيه فعل الفاعل، وليس مطلب النجاح وحده.[1]

فإذا كان النموذج الغربي قد أخذ بالنوع الأول وصار الترشيد السياسي الاجتماعي ترشيدًا أداتيًا تحكمه قاعدة " أفضل الوسائل لتحقيق غاية معينة لها الغلبة على الاهتمام بصحة تلك الغاية وشرعيتها"[2] بذا تراجعت القيم الدينية والأخلاقية والجمالية تحكم تدبير الشأن الحياتي في مجتمعات الحداثة ، بل مايحكمها هو مدى فاعليتها في تحقيق غاياتها مهما كان مدى لا أخلاقيتها، وكلما كانت الوسائل أكثر فاعلية بأقل تكلفة ممكنة وأقصر وقت ، كان الفعل أكثر رشدًا.[3] وهكذا سادت البراجماتية والمكيافيللية وتزايد الإعتماد على المعرفة الحسابية فأضحى الفرد والمجتمع موضع الحساب والقياس للتحكم فيه شأنه شأن الجمادات.

وكذلك **التفصيل:** انقلب من فصل وظيفي في التطبيق الغربي لهذه الآلية التحديثية إلى فصل بنيوي في عملية تقترب أن تكون تفكيكًا للمجتمع. فصارع المجال الاقتصادي بتنظيمه ومرجعيته المجال السياسي. فالأول تحكمه المنفعة والأخير

---

[1] فيبر. ماكس ، "**مفاهيم أساسية في علم الاجتماع**"، ترجمة صلاح هلال، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2011، ص55.

[2] هاو. آلن ، مرجع سبق ذكره،ص26.

[3] المسيري. عبد الوهاب ، "**العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة**"، ج2، القاهرة: دار الشروق، 2002،ص10.

تحكمه المصلحة، وانفصل المجال العام عن الخاص، والثقافي عن الديني ؛ فالآلية ذاتها تحوي بذور صيرورتها إلى ما أطلق عليه العلماء " التشظي الاجتماعي " [1] فماكس فيبر حين تناول هذه الآلية ميز بين ثلاث حقوق تتعايش منفصلة داخل المجتمع الحديث: الحقل المعرفي الإدراكي على نحو مايتجسد داخل الجامعات والمؤسسات البحثية ، والإقتصادي والسياسي كما يتجسدا في نظام السوق الرأسمالي وبيروقراطية الدولة الحديثة، ثم الحقل الجمالي ويتجسد في المتاحف العامة ، وتتسم هذه الحقول بعلاقة غير وفاقية وشدة الصراع وحدة الإنقسام ما يمكن أن يُطلق عليه صراع الآلهة.[2]

وهذا الفصل البنيوي وتفكيكه للمجتمعات الحديثة استبدل السيطرة القديمة للدين على الشأن الاجتماعي بهيمنة أشد وهى الهيمنة الاقتصادية واستبداد أباطرة السوق وشيوع قيم الربح على حساب أي قيمة أخرى .

كذلك **آلية التوسع:** انتشر الترشيد الداتي وهيمن العقل الأداتي الاقتصادي المادي على المجتمع فهو يمكن قياسه وحساب المردود بأقل تكلفة وأقصر وقت، فكانت النتيجة تسليع المجتمع ، وتحول كل ما فيه إلى سلع قابلة للتسعير .

فالإقتصاد الرأسمالي في الحداثة الغربية لم يقنع بان يكون أحد الفعاليات التي تتفاعل مندمجة مع الفاعليات الأخرى ، ولم يستقل فحسب، بل أخضع كافة الفعاليات الأخرى لمنطقه حت استقرت له الهيمنة على كامل التنظيم الاجتماعي ، وأصبح هم هذا التنظيم نفسه هو التوسع الاقتصادي والتملك والإستهلاك ولا سلطة

[1] عبد السلام. رفيق ، "**في العلمانية والدين والديمقراطية ..المفاهيم والسياقات**"، الدوحة– بيروت: مركز الجزيرة للدراسات والدار العربية للعلوم ناشرون، 2008،ص66.

[2] فيبر. ماكس ، "**العلم والسياسة بوصفهما حرفة**"، ترجمة جورج كتورة ، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2011،ص190.

تعلو على سلطة السوق.[1]

لقد انتهى مسلك التحديث في العالم الثالث بظاهرتين :

في الميدان الخارجي كان تعميقًا للتبعية ودعمًا لسياسات الإحتواء .

وفي الميدان الداخلي زيادة في مقدار التحكم والتمكن للدولة إزاء المجتمع حيث اتسعت رقعة التحكم من قبل الدولة الحديثة في المجتمع وتقلصت قنوات الحركة والحريات على نحو غير مسبوق.[2]

الخاتمة:

يخلص الباحث مما سبق إلى مجموعة من النتائج:-

- بعد اختبار فرضيته (بتلازم التغريب مع التحديث) أن هذا ما أكدته الدراسات التي تناولت مركزية الغرب وتبعية الأطراف على النحو السالف ذكره.
- كذلك الفرضية الثانية الخاصة بعالميته، توصلت الدراسة إلى أن المفهوم إنما هو وليدة خبرة حضارية معينة تستبطن منظومتها ، وتختلف في مقدماتها ونتائجها مع أي حضارة مغايرة .
- أيضًا بصدد سعي الدراسة للإجابة على السؤال البحثي الرئيس(الإستهلاك المفاهيمي للمفاهيم الجاهزة في صالح النهوض بالمجتمعات أم لا؟) تبين أن استهلاك المفاهيم الجاهزة أخطر أنواع الإستهلاك لأنها تتعلق بالنهوض

[1] عبد الرحمن. طه ، "**روح الحداثة ..المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية**" ، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2006،ص59.

[2] أبو الفضل. منى ، تقديم كتاب نصر محمد عارف، "**نظريات التنمية السياسية المعاصرة..دراسة نقدية مقارنة في ضوء المنظور الحضاري الإسلامي**"، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، سلسلة الرسائل الجامعية (6)، 1413هـ- 1992،ص23.

بدولة ذات حضارة وتملك من الرصيد مايمكنها من التخلص من حالة التأزم الحضاري التي تحياها، إذا مانظرت إلى الحداثة بوصفها تحولًا ، أو انتقالًا من طور حضاري إلى آخر يعلوه تقدمًا .وكي تقوم بهذا الإنتقال الحضاري عليها استحضار مقومين في غاية الأهمية لكل تحضر:

الفعل العمراني وهو **البعد المادي** في عملية الإنتقال، والفعل التاريخي وهو **البعد المعنوي** فيه.[1] فهذين الرافدين : تراث المجتمع من جهة، وما استجد على يديه ثم أيدي غيره من علوم ووسائل بعد **إعمال الحواجز الجمركية الأخلاقية** عليها من جهة أخرى. وبذلك تكون الحداثة هي جملة القيم والمبادئ القادرة على النهوض بالوجود الحضاري للإنسان في أي زمان ومكان.

أولًا المراجع العربية:

أ) كتب عربية :

1. إبراهيم. سعد الدين وآخرون، "**صور المستقبل العربي**"، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،1982.
2. بومنير. كمال ، "**النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت..من هوركهايمرإلى أكسل هونيث**"، الجزائر– بيروت:الدار العربية للعلوم ناشرون ، 2010.
3. سبيلا. محمد ، "**الحداثة وما بعد الحداثة**"،الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ط2، 2007.

[1] المرجع السابق،ص31.

4. سبيلا. محمد وعبد العالي. عبد السلام بن ، "**الفلسفة الحديثة نصوص مختارة**"، المغرب: أفريقيا الشرق، 2001.
5. الشرفي. عبد المجيد ، "**لبنات..معالم الحداثة**"، تونس: دار الجنوب للنشر، 1994.
6. الشيخ. محمد ، "**نقد الحداثة في فكر هايدغر**"، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2008.
7. الشيخ. محمد والطائي. ياسر ، "**مقاربات في الحداثة ومابعد الحداثة ..حوارات منتقاة من الفكر الألماني المعاصر**"، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1996.
8. عارف. نصر محمد ، "**نظريات التنمية السياسية المعاصرة: دراسة نقدية مقارنة في ضوء المنظور الإسلامي**"، سلسلة الرسائل الجامعية(6) فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1413هـ- 1992.
9. عبد الرحمن. طه ، "**تعددية القيم ما مداها؟ وما حدودها؟**" مراكش: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2001.
10. عبد الرحمن. طه ، "**روح الحداثة..المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية** "، الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي، 2006.
11. عبد السلام. رفيق ، "**في العلمانية والدين والديمقراطية ..المفاهيم والسياقات**"، الدوحة- بيروت: مركز الجزيرة للدراسات والدار العربية للعلوم ناشرون، 2008.
12. عبد النور. ابن داود ، "**المدخل الفلسفي للحداثة..تحليلية نظام تمظهر العقل الغربي**"، الجزائر- بيروت: منشورات الإختلاف- ناشرون، 2009.
13. العروي. عبد الله ، "**مفهوم الحرية**" ، الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي، ط5، 1993.
14. العروي. عبد الله ، "**مفهوم الدولة**"، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط9، 2011.
15. عزة. الطيب بو، "**نقد الليبرالية**" ، بيروت: دار المعارف الحكمية، 2007.
16. عزت. هبة رؤوف ، "**الخيال السياسي للإسلاميين..ماقبل الدولة ومابعدها**"، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط2، 2015.

17. القفاش. أسامة ، "**قراءة مفاهيمية في قاموس التنمية**"، ضمن: د. إبراهيم البيومي غانم (وآخرون)، بناء المفاهيم:دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، ج2، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع،2008.
18. المسيري. عبد الوهاب ، "**العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة**"، ج1، القاهرة: دار الشروق، 2002.
19. المسيري. عبد الوهاب ، "**العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة**"، ج2، القاهرة: دار الشروق، 2002.

ب) كتب مترجمة :

1. تورين. آلان ، "**براديغما جديدة ..لفهم عالم اليوم**"، ترجمة جورج سليمان، بيروت: المنظمة العربية للترجمة ، 2011.
2. سكنر. كوينتن ، "**أسس الفكر السياسي الحديث ..عصر الإصلاح الديني**"، ترجمة حيدر حاج إسماعيل، ج2، بيروت: المنظمة العربية للترجمة ، 2012.
3. فروم. إريك ، "**ثورة الأمل..نحو تكنولوجيا مؤنسنة**"، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، مصر: دار الكلمة للنشر والتوزيع، 2010.
4. فلوري. لوران ، "**ماكس فيبر**"، ترجمة محمد مقلد، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2008.
5. فيبر. ماكس ، "**الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية**"، ترجمة محمد على مقلد، بيروت: مركز الإنماء القومي، د.ت.
6. فيبر. ماكس ، "**العلم والسياسة بوصفهما حرفة**"، ترجمة جورج كتورة ، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2011.
7. فيبر. ماكس ، "**مفاهيم أساسية في علم الاجتماع**"، ترجمة صلاح هلال، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2011.
8. فينليسون. جيميس جوردن ، "**هابرماس مقدمة قصيرة جدا**"، ترجمة أحمد محمد الروبي، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 2015.
9. لالاند. أندريه ، "**موسوعة لالاند الفلسفية**"، ترجمة خليل أحمد خليل، بيروت: منشورات عويدات، ط2، 2001.

10. ليوتار. جان فرانسوا ، "**في معنى مابعد الحداثة ..نصوص في الفلسفة والفن**"، ترجمة وتعليق السعيد لبيب، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2016.
11. مونتاغيو. إشلي ، "**البدائية**"، ترجمة محمد عصفور، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، عدد(53) مايو 1982.
12. مير. لوسي ، "**مقدمة إلى الأنثربولوجيا الاجتماعية**"، ترجمة شاكر مصطفى سليم، بغداد: منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة الكتب المترجمة، عدد(126)، 1983.
13. هاو. آلن ، "**النظرية النقدية ..مدرسة فرانكفورت**"، ترجمة ثائر ديب، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2010.
14. هنتجتون. صموئيل ، "**النظام السياسي لمجتمعات متغيرة**"، ترجمة سمية فلو عبود، بيروت: دار الساقي، 1993.
15. هيجوت. ريتشارد ، "**نظرية التنمية السياسية**"، ترجمة حمدي عبد الرحمن ومحمد عبد الحميد، عمان: المركز العلمي للدراسات السياسية، 2001.

ج) رسائل علمية :

1. جديدي. محمد ، "**الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي**" ، جامعة الجزائر: رسالة دكتوراه ، 2006.

2. مسعودي. نور الدين ، "**التحديث الاجتماعي السياسي الغربي ومسار الهيمنة الحضارية**" ، جامعة محمد الأمين دباغين– سطيف 2: رسالة ماجستير، 2016/2015.

د) دوريات علمية :

فهيم. حسين ، "**قصة الأنثروبولوجيا، فصول في تاريخ علم الإنسان**"، الكويت: عالم المعرفة، عدد(98)، فبراير 1986.

هـ) شبكة المعلومات الدولية:

1. هلال. على الدين ، "**الاقتصاد السياسي وقضايا التنمية لبعض الاتجاهات الحديثة فى العلوم الاجتماعية**"، https://arabprf.com/?p=2833

2. حافظ. فاطمة ، "**الطوائف الحرفية ..تاريخ الإتقان في الحضارة الإسلامية**":
https://islamonline.net/%D8%A7%D9%84%D8%B7%D9%88%D8%A7%D8%A6%D9%81-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D9%81%D9%8A%D8%A9-%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%AA%D9%82%D8%A7%D9%86-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B6/

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

1. Coates, J. "**Exploring the Roots of the Environmental Crisis: Opportunity for Social Transformation".** Critical Social Work, 3(1), 2003
2. Russell, P. **"Waking up in Time: Finding Inner Peace in Times of Accelerating Change Novato",** CA: Origin Press, 1998.
3. Spretnak, C. **"The Resurgence of the Real"**. Ontario: Addison-Wesley: Don http://scholar.worldlib.site:8000/upload/202104/30/20210430091419307.pdf